﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ٢٨

كيف فى اللغة للسؤال عن الحال . والحق سبحانه وتعالى أوردها فى هذه الآية الكريمة ليس بغرض الاستفهام ، ولكن لطلب تفسير أمر عجيب ما كان يجب أن يحدث . وبعد كل ما رواه الحق سبحانه وتعالى فى آيات سابقة من أدلة دامغة عن خلق السموات والأرض وخلق الناس .. أدلة لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يخطئها .. فكيف بعد هذه الادلة الواضحة تكفرون بالله ؟ .. كفركم لاحجة لكم فيه ولا منطق .. والسؤال يكون مرة للتوبيخ .. كأن تقول لرجل كيف تسب أباك ؟ أو للتعجب من شيء قد فعله وما كان يجب ان يفعله .. وكلاهما متلاقيان . سواء كان القصد التوبيخ او التعجب فالقصد واحد .. فهذا ما كان يجب ان يصح منك . ثم يأتى الحق سبحانه وتعالى بأدلة اخرى لا يستطيع أحد أن ينكرها او يكذب بها .. فيقول جل جلاله : « وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتكم » .

وهكذا ينتقل الكلام الى اصل الحياة والموت . فبعد ان بين الحق سبحانه وتعالى .. ماذا يفعل الكافرون والفاسقون والمنافقون من افساد فى الأرض .. وقطع لما أمر الله سبحانه وتعالى به أن يوصل .. صعد الجدل الى حديث عن الحياة والموت . وقوله تعالى « كنتم أمواتا فأحياكم » قضية لا تحتمل الجدل .. ربما استطاعوا المجادلة فى مسألة عدم اتباع المنهج ، أو قطع ما أمر الله به ان يوصل ..

ولكن قضية الحياة والموت لا يمكن لأحد أن يجادل فيها . فالله سبحانه وتعالى خلقنا من عدم .. ولم يدع أحد قط أنه خلق الناس أو خلق نفسه .. وعندما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للناس ان الذى خلقكم هو الله .. لم يستطع أحد أن يكذبه ولن يستطيع .. ذلك أننا كنا فعلا غير موجودين فى الدنيا .. والله سبحانه وتعالى هو الذى أوجدنا واعطانا الحياة ..

وقوله تعالى : « ثم يميتكم » . فان أحدا لايشك فى أنه سيموت . . الموت مقدر على الناس جميعا . . والخلق من العدم واقع بالدليل . . والموت واقع بالحس والمشاهدة . .

إن قضية الموت هى سبيلنا لمواجهة أى ملحد . . فإن قالوا إن العقل كاف لادارة الحياة . . وانه لا يوجد شىء اسمه غيب . . قلنا : الذى تحكم فى الخلق ايجادا ، هو الذى يتحكم فيه موتا . . والحياة الدنيا هى مرحلة بين قوسين . . القوس الأول هو أن الله يخلقنا ويوجدنا . . وتمضى رحلة الحياة الى القوس الثانى . . الذى تخمد فيه بشريتنا وتتوقف حياتنا وهو الموت . أى أننا فى رحلة الحياة من الله واليه . .

اذن فحركة الحياة الدنيا هى بداية من الله بالخلق ونهاية بالموت . .

إنهم عندما تحدثوا عن اطفال الانابيب . . وهى عملية لعلاج العقم أكثر من اى شىء آخر . . ولكنهم صوروها تصويرا جاهليا . . وكل ما يحدث أنهم يأخذون بويضة من رحم الأم التى يكون المهبل عندها مسدودا أو لا يسمح بالتلقيح الطبيعى . . يأخذون هذه البويضة من رحم الأم . . ويخصبونها بالحيوانات المنوية للزوج . . ثم يزرعونها فى رحم الأم .

إنهم أخذوا من خلق الله وهى بويضة الأم والحيوان المنوى من الرجل . . وكل ما يفعلونه هو عملية التلقيح ومع ذلك يسمونه اطفال الانابيب . . كأن الانبوبة يمكن ان تخلق طفلا !! والحقيقة غير ذلك . . فبويضة الأم ، والحيوان المنوى للرجل هما من خلق الله . . وهم لم يخلقوا شيئا . . أننا نقول لهم : اذا كنتم تملكون الموت والحياة فامنعوا انسانا واحدا أن يموت . . بدلا من انفاق ألوف الجنيهات فى معالجة عقم قد ينجح أو لا ينجح . . ابقوا واحدا على قيد الحياة . . ولن يستطيعوا . .

إن الموت أمر حسى مشاهد . . ولذلك فمن رحمة الله بالعقل البشرى بالنسبة للأحداث الغيبية أن الله سبحانه وتعالى قربها لنا بشىء مشاهد . . كيف ؟ . . عندما ينظر الانسان الى نفسه وهو حى . . لا يعرف كيف أحياه الله وكيف خلقه . . الله سبحانه وتعالى ذكر لنا غيب الخلق فى القرآن الكريم فقال جل جلاله أنه خلق الانسان من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون ثم نفخ فيه من روحه . .

واقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾

(من الآية ٥ سورة الحج)

وقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾

(سورة المؤمنون)

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾

(من الآية ١١ سورة الصافات)

وقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

(سورة الحجر)

وقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

(سورة ص)

فالحق تبارك وتعالى أخبرنا عن مرحلة فى الخلق لم نشهدها .. ولكن الموت شىء مشهود لنا جميعا .. ومادام مشهودا لنا ، يأتى الحق سبحانه وتعالى به كدليل على مراحل الخلق التى لم نشهدها .. فالموت نقض للحياة .. والحياة اخبرنا الله تبارك وتعالى بأطوارها .. ولكنها غيب لم نشهده ..

ولكن الذى خلق قال أنا خلقتك من تراب .. من طين.من حمأ مسنون.من صلصال كالفخار .. فالماء وضع على تراب فأصبح طينا .. والطين تركناه فتغير لونه وأصبح صلصالا .. الصلصال .. جف فأصبح حمأ مسنونا ، ثم نحته فى صورة انسان ونفخ الحق سبحانه وتعالى فيه الروح فأصبح بشرا .. ثم يأتى الموت وهو نقض للحياة .. ونقض كل شىء يأتى على عكس بنائه ..

بناء العمارة يبدأ من اسفل الى أعلى .. وهدمها يبدأ من اعلى الى أسفل .. ولذلك فان آخر مرحلة من رحلة ما .. هى أول خطوة فى طريق العودة .. فاذا كنت مسافرا الى الاسكندرية .. فأول مكان فى طريق العودة هو آخر مكان وصلت اليه .

أول شىء يخرج من الجسد هو الروح وهو آخر ما دخل فيه .. ثم بعد ذلك يتصلب الجسد ويصبح كالحمأ المسنون .. ثم يتعفن فيصبح كالصلصال .. ثم يتبخر الماء الذى فيه فيعود ترابا .. وهكذا يكون الموت نقض صورة الحياة .. متفقا مع المراحل التى بينها لنا الحق سبحانه وتعالى ..

وقوله تعالى : « ثم اليه ترجعون » .. أى أن الله تبارك وتعالى يبعثكم ليحاسبكم .. لقد حاول الكفار والملحدون واصحاب الفلسفة المادية ان ينكروا قضية البعث .. وهم فى هذا لم يأتوا بجديد .. بل جاءوا بالكلام نفسه الذى قاله أصحاب الجاهلية الأولى .. واقرأ قوله تعالى عما يقوله اصحاب الجاهلية الأولى :

﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾

(من الآية ٢٤ سورة الجاثية)

وامنية الكافر والمسرف على نفسه .. الا يكون هناك بعث أو حساب .. والذين يتعجبون من ذلك نقول لهم : ان الله سبحانه وتعالى الذى أوجدكم من عدم

يستطيع أن يعيدكم وقد كنتم موجودين .. يقول جل جلاله :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

(سورة الروم)

فإيجاد ما كان موجودا أسهل من الايجاد من عدم على غير مثال موجود .. والله سبحانه وتعالى يرد على الكفار فيقول سبحانه :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

(سورة يس)

وهكذا فإن البعث أهون على الله من بداية الخلق .. وكل شيء مكتوب عند الله سبحانه وتعالى فى كتاب مبين .. وما أخذته الارض من جسد الانسان ترده يوم القيامة .. ليعود من جديد .

وخلق السموات والأرض أكبر من خلق الانسان .. واقرأ قوله وتعالى :

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

(سورة غافر)

وقول الله سبحانه وتعالى : « ثم اليه ترجعون » .. هو اطمئنان لمن آمن .. ومادمنا اليه نرجع ومنه بدأنا .. فالحياة بدايتها من الله ونهايتها الى الله .. فلنجعلها هى نفسها لله .. ولابد أن نلتفت الى ان الله تبارك وتعالى أخفى عنا الموت زمانا ومكانا وسببا وعمرا .. لم يخفه ليحجبه ، وانما أخفاه حتى نتوقعه فى كل لحظة .. وهذا اعلام واسع بالموت حتى يسرع الناس الى العمل الصالح .. والى المثوبة.لأنه

لا يوجد عمر متيقن فى الدنيا . . فلا الصغير آمن على عمره . . ولا الشاب آمن على عمره . . ولا الكهل آمن على عمره . . ولذلك يجب أن يسارع كل منا فى الخيرات . . حتى لا يفاجئه الموت . . فيموت وهو عاص . .

ونلاحظ أن قصة الحياة جاء الله بها فى آية واحدة . والرجوع الى الله ـ وهو يقين بالنسبة للمؤمنين ـ يلزمهم بالمنهج ، فيعيشون من حلال . والتزامهم هذا هو الذى يقودهم الى طريق الجنة . ويطمئنهم على اولادهم بعد أن يرحل الآباء من الدنيا .

فعمل الرجل الصالح ينعكس على أولاده من بعده . واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾

(سورة النساء)

اذن فصاحب الالتزام بالمنهج ، يطمئن الى لقاء ربه ويطمئن الى جزائه ، والذى لا يؤمن بالآخرة أخذ من الله الحياة فأفناها فيما لا ينفع . ثم بعد ذلك لا يجد شيئا الا الحساب والنار . . واقرأ قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾

(سورة النور)

أى أن الكافر سيفاجأ فى الآخرة بالله الذى لم يكن فى باله انه سيحاسبه على ما فعل . . وقوله تعالى « واليه ترجعون » تقرأ قراءتان . بضمة على التاء . ومرة بفتحة على التاء . الاولى معناها . أننا نُجْبَرُ على الرجوع . فلا يكون الرجوع الى الله تعالى بإرادتنا ، وهذا ينطبق على الكفار الذين يتمنون عدم الرجوع الى الله . أما الثانية « ترجعون » فهذه فيها ارادة . وهى تنطبق على المؤمنين لأنهم يتمنون الرجوع الى الله .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

يذكرنا الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية أنه هو الذى خلق ما فى الأرض جميعا . وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : « فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » لتلفتنا الى أن ما فى الأرض كله ملك لله جل جلاله ، وأننا لا نملك شيئا الا ملكية مؤقتة . وأن ما لنا فى الدنيا سيصير لغيرنا . وهكذا .

والحق سبحانه وتعالى حين خلق الحياة وقال « كنتم أمواتا فأحياكم » كأن الحياة تحتاج الى امداد من الخالق للمخلوق حتى يمكن أن تستمر . فلابد لكى تستمر الحياة أن يستمر الامداد بالنعم . ولكن النعم تظل طوال فترة الحياة ، وعند الموت تنتهى علاقة الانسان بنعم الدنيا . ولذلك لابد أن يتنبه الانسان الى أن الأشياء مسخرة له فى الدنيا لتخدمه . وأن هذا التسخير ليس بقدرات أحد . ولكن بقدرة الله سبحانه وتعالى . والانسان لا يدرى كيف تم الخلق . ولا ماهى مراحله الا أن يخبرنا الله سبحانه وتعالى بها . فهو جل جلاله يقول :

﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾

(سورة الكهف)

وماداموا لم يشهدوا خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم . فلابد أن نأخذ ذلك عن الله ما ينبئنا به الله عن خلق السموات والأرض وعن خلقنا هو الحقيقة . وما يأتينا عن غير الله سبحانه وتعالى فهو ضلال وزيف . ونحن الآن نجد بحوثا

كثيرة عن كيفية السموات والأرض وخلق الانسان . وكلها لن تصل الى حقيقة . بل ستظل نظريات بلا دليل . ولذلك قال الله سبحانه وتعالى : « وما كنت متخذ المضلين عضدا » أى أن هناك من سيأتى ويضل . ويقول هكذا تم خلق السموات والأرض ، وهكذا خلق الانسان . هؤلاء المضلون الذين جاءوا بأشياء هى من علم الله وحده . جاءوا تثبيتا لمنهج الايمان . فلو لم يأت هؤلاء المضلون ، ولو لم يقولوا خلقت الأرض بطريقة كذا والسماء بطريقة كذا . لقلنا ان الله تعالى قد اخبرنا فى كتابه العزيز أن هناك من سيأتى ويضل فى خلق الكون وخلق الانسان ولكن كونهم أتوا . فهذا دليل على صدق القرآن الذى أنبأنا بمجيئهم قبل أن يأتوا بقرون .

والاستفادة من الشىء لا تقتضى معرفة أسراره . . فنحن مثلا نستخدم الكهرباء مع أننا لا نعرف ما هى ؟ وكذلك نعيش على الارض ونستفيد بكل ظواهرها وكل ما سخره الله لنا . وعدم علمنا بسر الخلق والايجاد لا يحرمنا هذه الفائدة . فهو علم لا ينفع وجهل لا يضر . والكون مسخر لخدمة الانسان . والتسخير معناه التذليل ولا تتمرد ظواهر الكون على الانسان . واذا كانت هناك ظواهر فى الكون تتمرد بقدر الله . مثل الفيضانات والبراكين والكوارث الطبيعية . نقول ان ذلك يحدث ليلفتنا الحق سبحانه وتعالى الى أن كل ما فى الكون لا يخدمنا بذاتنا . ولا بسيطرتنا عليه ، وانما يخدمنا بأمر الله له ، والا لو كانت المخلوقات تخدمك بذاتك . فاقدر عليها حينها تتمرد على خدمتك . وكل ما فى الكون خاضع لطلاقة قدرة الله . حتى الاسباب والمسببات خاضعة أيضا لطلاقة القدرة الألهية . فالاسباب والمسببات فى الكون لا تخرج عن ارادة الله .

لذلك اذا تمرد الماء بالطوفان . وتمردت الرياح بالعاصفة . وتمردت الأرض بالزلازل والبراكين . فما ذلك الا ليعرف الانسان أنه ليس بقدرته أن يسيطر على الكون الذى يعيش فيه . واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

(سورة يس)

والانسان عاجز عن أن يخضع حيوانا الا بتذليل الله له . . ومن العجيب انك ترى الحيوانات تدرك ما لايدركه الانسان فى الكون . فهى تحس بالزلزال قبل أن يقع . وتخرج من مكان الزلزال هاربة . بينما الانسان لا يستطيع بعقله أن يفهم ما سيحدث .

والحق سبحانه وتعالى فى قوله : « خلق لكم ما فى الأرض جميعا » يستوعب كل أجناس الأرض . ولذلك فإن الانسان لا يستطيع أن يوجد شيئا الا من موجود . أى أن الانسان لم يستحدث شيئا فى الكون . فأنت اذا أخذت حبة القمح . من أين جئتنا بها ؟ من محصول العام الماضى . . ومحصول العام الماضى . من أين جاء ؟ . . من محصول العام الذى قبله . وهكذا يظل تسلسل الأشياء حتى تصل الى حبة القمح الاولى.من أين جاءت ؟ جاءت بالخلق المباشر من الله . وكذلك كل ثمار الأرض اذا أعدتها للثمرة الأولى فهى بالخلق المباشر من الله سبحانه وتعالى . فاذا حاولت أن تصل الى أصل وجود الانسان . ستجد بالمنطق والعقل .. أن بداية الخلق هى من ذكر وأنثى . خلقا بالخلق المباشر من الله . لأنك أنت من ابيك وأبوك من جدك . وجدك من ابيه . وهكذا تمضى حتى تصل الى خلق الانسان الاول . فنجد انه لابد أن يكون خلقا مباشرا من الله سبحانه وتعالى . وما ينطبق على الانسان ينطبق على الحيوان وعلى النبات وعلى الجماد . فكل شىء اذا رددته لأصله تجد أنه لابد أن يبدأ بخلق مباشر من الله سبحانه وتعالى .

بعض الناس يتساءل عن الرقى والحضارة وهذه الاختراعات الجديدة . أليس للانسان فيها خلق ؟ . . نقول فيها خلق من موجود . والله سبحانه وتعالى كشف من علمه للبشر ما يستطيعون باستخدام المواد التى خلقها الله فى الارض أن يرتقوا ويصنعوا أشياء جديدة . ولكننا لم نجد ولم نسمع عن انسان خلق مادة من عدم .

الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق كل ما فى هذا الكون من عدم . ثم بعد ذلك تكاثرت المخلوقات بقوانين سخرها الله سبحانه وتعالى لها . ولكن كل هذا التطور راجع الى أن الله خلق المخلوقات وأعطاها خاصية التناسل والتزاوج لتستمر الحياة جيلا بعد جيل . وكل خلق الله الذى تراه فى الكون الآن قد وضع الله سبحانه وتعالى فيه من قوانين الأسباب ما يعطيه استمرارية الحياة من جيل الى جيل حتى ينتهى الكون . فاذا قال لك انسان : أنا أزرع بذكائى وعلمى . فقل له : أنت تأتى

بالبذرة التى خلقها الله . وتضعها فى الأرض المخلوقة لله . وينزل الله سبحانه وتعالى الماء عليها من السماء . وتنبت بقدرة الله الذى وضع فيها غذاءها وطريقة انباتها . اذن فكل ما يحدث أنك تحرث الأرض . وترمى البذرة . يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(سورة الواقعة)

صحيح أن الانسان يقوم بحرث الارض ورمى البذرة . وربما تعهد الزرع بالعناية والرى . ولكن ليس فى كل ما يفعله مهمة خلق . بل ان الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شىء.. ولو كنت تزرع بقدرتك فأت ببذرة من غير خلق الله . وأرض لم يخلقها الله . وماء لم ينزله الله من السماء . وطبعا لن تستطيع . . ولكن ما هو مصدر الأشياء التى استحدثت ؟

نقول إن هناك فرقا بين وجود الشىء بالقوة . وجوده بالفعل . . فالنخلة مثلا حبة كانت موجودة بالقوة . كانت نواة . ثم زرعت فأصبحت موجودة بالفعل . وأنت لا عمل لك فى الحالتين فلا أنت بقوتك خلقت النواة ـ التى هى البذرة ـ ولا أنت بفعلك جعلت النواة تكبر . لتصير نخلة بالفعل . على أن هناك أشياء مطمورة فى الكون . خلقها الله سبحانه وتعالى مع بداية الخلق . ثم تركها مطمورة فى الكون . حتى كشفها الله لمن يبحث عن اسراره فى كونه .

وكل كشف له ميلاد . اذا أخذنا مثلا ما تحت الثرى . أو الكنوز الموجودة تحت سطح الارض . لقد ظلت مطمورة حتى هدى الله الانسان اليها . وعلمه كيف يستخرجها . فالانسان لم يخترع مثلا أو يوجد البترول او المعادن . ولكنها كلها كانت مطمورة فى الكون حتى جاء الوقت الذى يجب أن تؤدى فيه دورها فى الحياة . فدلنا الحق عليها ، فليس معنى أن الشىء كان غائبا عنا أنه لم يكن موجودا . أو أنه وجد لحظة اكتشافنا له . فالشىء الحادث الآن ، والشىء الذى سيحدث بعد سنوات . . خلق الله سبحانه وتعالى كل عناصره . وأودعها فى الأرض لحظة الخلق . والانسان بما يكشف الله له من علم يستطيع تركيب هذه العناصر . ولكنه لا يستطيع خلقها أو ايجادها. والحق سبحانه وتعالى يقول : « ثم استوى إلى السماء » .

حينما يقول الله جل جلاله . استوى . . يجب ان نفهم كل شيء متعلق بذات الله على أنه سبحانه ليس كمثله شيء . فالله استوى والملوك تستوى على عروشها . وانت تستوى على كرسيك . ولكن لأننا محكومون بقضية « ليس كمثله شيء » لابد أن نعرف أن استواء الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء.والله حي . وأنت حي . هل حياتك كحياته ؟ والله سبحانه وتعالى يعلم وأنت تعلم.هل علمك كعلمه ؟ والله سبحانه وتعالى يقدر . وأنت تقدر . هل قدرتك كقدرته . طبعا لا . فعندما تأتى الى « استوى » فلا تحاول أن تفهمها ابدا بالمفهوم البشرى . . فالله سبحانه وتعالى يعلم ما فى الأرض وما فى السماء . وهو سبحانه يعلم المكان بكل ذراته . والموجودين فى هذا المكان او المكين . بكل ذراته . وأنت تعرف ظاهر الأمر . . والله سبحانه وتعالى يعلم غيب السموات والأرض حتى يوم القيامة . وبعد يوم القيامة اذن فهو جل جلاله . ليس كمثله شيء . ولا يمكن أن تحيط أنت بعقلك بفعل يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى . فعقلك قاصر عن أن يدرك ذلك . لذلك قل سبحان الله . ليس كمثله شيء فى كل فعل يتصل بذات الله . . « استوى الى السماء » هذا الكلام هو كلام الله . فالمتحدث هو الله عز وجل .

بعض الناس يقولون تلقينا القرآن وحفظناه . نقول لهم ان الذى حفظ القرآن هو الله سبحانه وتعالى . ومادام قد حفظ كلامه فهو جل جلاله يعلم أن الوجود كله لن يتعارض مع القرآن الكريم . . والله سبحانه وتعالى حفظ القرآن ليكون حجة له على الناس.ومادام الله جل جلاله هو الخالق . وهو القائل . فلا توجد حقيقة فى الكون كله تتصادم مع القرآن الكريم . . واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(سورة الحجر)

وهذا من عظمة الله أن حفظ كلامه ليكون حجة على الناس . والله سبحانه وتعالى وجدت صفاته قبل أن توجد متعلقات هذه الصفات . فهو جل جلاله . خلق لأنه خالق . كأن صفة الخلق وجدت أولا . والا كيف خلق أول خلقه . ان لم يكن سبحانه وتعالى خالقا ؟

والله سبحانه وتعالى رزاق . قبل أن يوجد من يرزقه . والا فبأى قدرة رزق الله

أول خلقه ؟ والله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون بكمال صفاته . وشهد أنه لا اله الا هو قبل أن يشهد اى من خلق الله أنه لا اله الا الله . واقرأ قوله تعالى :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾

(من الآية ١٨سورة آل عمران)

فالله سبحانه وتعالى شهد أنه لا اله الا هو قبل أن يوجد أحد من خلقه يشهد بوحدانية ألوهيته . شهد أنه لا اله الا هو قبل أن يخلق الملائكة . ليشهدوا شهادة مشهد بأنه لا اله الا الله . وأولوا العلم شهادة علم . فكأن شهادة الذات للذات . في قوله تعالى « شهد الله أنه لا اله الا هو » هى التى يعتد بها ، وهى أقوى الشهادات ؛ فالله ليس محتاجا من خلقه إلى امتداد الشهادة .

الله سبحانه وتعالى : بعد أن خلق الأرض وخلق السماء واستتب له الأمر . قال « وهو بكل شيء عليم » أى لا تغيب ذرة من ملكه عن علمه . فهو عليم بكل ذرات الأرض وكل ذرات الناس . وكل ذرات الكون . والكون كله لا يفعل الا باذنه ومراده . واقرأ قوله تعالى :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾

(سورة لقمان)

